في التفكير

تعليم مهارات التفكير الناقد للصغار

تتناول هذه المقالة تعريف التفكير الناقد والمهارات العقلية والوجدانية المنبثقة عنه، كما تبين أهمية تعليمه وتورد طريقين لتعليم وتذويت مهارات التفكير الناقد عند الصغار.

يقدم التربويون العديد من التعريفات للتفكير الناقد ويتفقون على أن للتفكير الناقد أبعاداً معرفية وميولاً وجدانية. فحين يرى Lipman 1998 أن التفكير الناقد هو تفكير منظم، له معايير محددة ويشكل قاعدة لاتخاذ الأحكام، يرى Ennis 1985 أن التفكير الناقد هو تفكير منطقي وتأملي وهذا النوع من التفكير يقرر ما قد نؤمن به وما نفعله. ويرى Mc Peck 1981 أن التفكير الناقد يشمل فحص الادعاءات بعد تحليلها بدقة وذلك للحكم على مصداقيتها. ويورد Facione 1996 التعريف الذي أجمع عليه عدد من الخبراء المختصين بالموضوع، هذا التعريف يوضح بأن التفكير الناقد هو حكم منظم ذاتياً وهادف، وهو أداة ضرورية للاستقصاء. والتفكير الناقد يؤدي إلى التفسير interpretation، والتحليل analysis، والتقييم evaluation، والاستدلال inference، والشرح explanation، وتنظيم الذات self regulation.

وهذا النوع من التفكير لا يشكل عملية خطية بل هو عملية مترابطة ومتداخلة، فالمفكر الجيد يقيم الأدلة أو المعايير ليتوصل إلى تحليل وتكون له القدرة على شرح التحليل ويراقب ذاته وما يحمله من أفكار مسبقة وتحيزات وبالتالي يستطيع أن يصحح أفكاره. ويرى هؤلاء الخبراء أن المفكر الناقد يتمتع بالمهارات العقلية سابقة الذكر، وهو يتميز كذلك بميول وجدانية لخصها الخبراء في حب المعرفة inquisitiveness – التفهم وسعة الأفق open-mindedness – الميل إلى التحليل analyticity – التنظيم systematicity – النضج العقلي cognitive maturity – الرغبة في اكتشاف الحقيقة truth-seeking – الثقة بالذات critical thinking self confident.

ويوضح الشكل التالي مهارات التفكير الناقد الأساسية:

لماذا نعلم مهارات التفكير الناقد؟

من الطبيعي أن يتعلم الفرد مهارات التفكير الناقد ليكون قادرًا على اتخاذ القرارات الصائبة وحل المشكلات المستعصية في حياته وليستطيع أن يحمي ذاته ومصالحه. ولقد كان وما زال تحسين التفكير هدفاً ساميًا للتعليم منذ أيام أرسطو. وفي عصرنا هذا حيث يتفجر كمٌ هائلٌ من المعلومات أصبح من المحال لأفضل المعلمين أن يلم بالمعرفة كاملة، ولا يمكن للمتعلم أن يتلقى إلا جزيئاً صغيراً من المعرفة عن معلمه. ولكن يمكن لكل معلم جيد أن يعلم طلابه مهارات التفكير الناقد وبالتالي فهو يزود الطلبة بأساليب الحصول على المعرفة والمعلومات، كذلك بمهارات فحص وتقييم هذه المعلومات والحكم على صحتها. وعلى الرغم من تباين وجهات النظر التربوية إلا أنها جميعاً تتفق على أن التعليم الجيد هو التعليم الذي يعطي المتعلم دورًا فاعلاً فيستطيع أن يراقب تعلمه ذاتيا self regulated learning فيبني على خبراته ومعرفته السابقة وعلى اهتماماته. إن تنظيم الذات ومراقبة التعلم self regulation هو إحدى مهارات التفكير الناقد. كذلك تتفق هذه النظريات على أن التعليم الجيد هو الذي يأخذ المتعلم فيه دورًا نشطاً active role فيبحث عن معنى وتفسير للمعلومات الجديدة ويتساءل حولها ويضع فرضيات ويبحث عن أدلة لدعم أو لدحض المعلومات الجديدة. وهذه المهارات جميعها هي مهارات المفكر الناقد.

ويورد The Thinking Classroom مجموعة من المبررات لتعليم التفكير، من هذه المبررات:

> من الطبيعي أن يتعلم الفرد مهارات التفكير الناقد ليكون قادرًا على اتخاذ القرارات الصائبة وحل المشكلات المستعصية في حياته وليستطيع أن يحمي ذاته ومصالحه.

- إن الطلبة لا يمتلكون طرق التفكير والمهارات العقلية الجيدة من خلال حفظ الموضوعات الدراسية المختلفة واسترجاعها.
- التفكير الجيد يؤدي إلى فهمٍ أعمق للمادة، ويؤدي كذلك إلى ربط الموضوعات الدراسية ببعضها بشكل أفضل.
- تشير الدراسات إلى أن التفكير الجيد قابل للتعلم وللتعليم teachable and learnable وبالتالي فإن واجب المعلمين مساعدة طلابهم على التفكير بشكل جيد.

تعليم مهارات التفكير الناقد

والسؤال المهم هو : كيف نعلم مهارات التفكير الناقد للطلبة في المدارس؟

يرى Paul 1998 أن الأطفال يأتون إلى المدرسة دون القدرة على التفكير الناقد ويكون تفكيرهم متمركزاً حول ذواتهم وحول رغباتهم وهو يؤكد أن من واجب النظام التعليمي مساعدتهم ليكونوا أشخاصًا مسؤولين وعادلين متسلحين بمهارات عقلية وميول إيجابية.

ويميز Paul بين ثلاثة أنماط من التنظيم العقلي للأفراد. وهو يرى أن الفرد قد يكون مفكرًا ناقدًا أحياناً ولكن في أحيان أخرى يكون مفكرًا غير ناقد.

- تُدرِج المعايير التربوية الحديثة مهارات التفكير الناقد والإبداعي كمتطلب أساسي لتعليم المواد المختلفة.
- العديد من الامتحانات المقننة مثل TOFEL- GRE تمتحن قدرة الفرد على استخدام المعلومات وتطبيقها ما يتطلب مهارات التفكير الناقد.

> إن الطلبة لا يمتلكون طرق التفكير والمهارات العقلية الجيدة من خلال حفظ الموضوعات الدراسية المختلفة وإسترجاعها.

الشكل رقم (1)

Three Models of Mental Organization

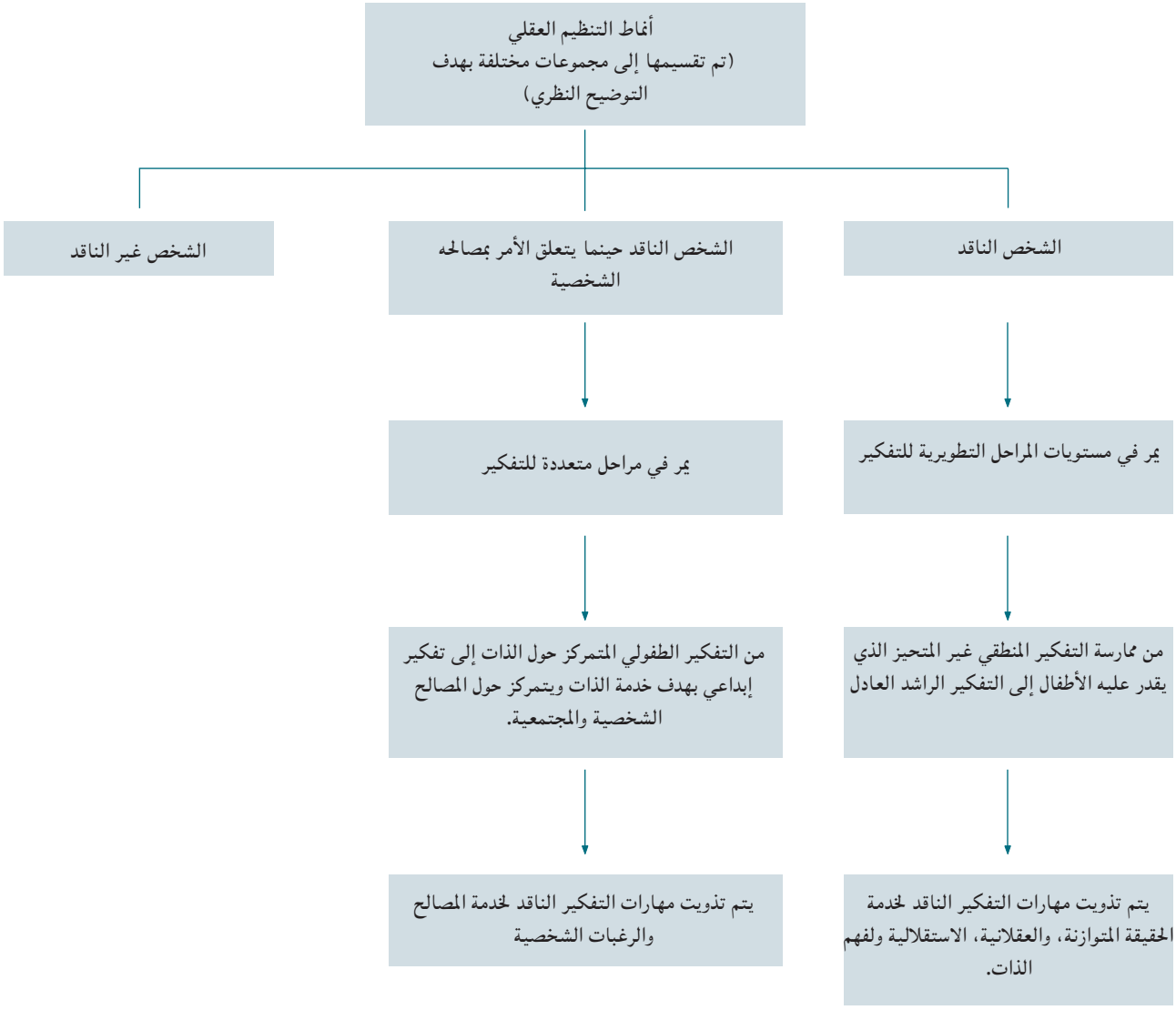

ويقدم Paul بعض الأساليب التي تساعد الطلبة على تذويت مهارات التفكير الناقد منها استخدام الدراما لتعميق استيعاب مهارات التفكير الناقد، كذلك فهم المفاهيم المجردة من خلال استخدام أمثلة من الحياة اليومية.
والمقصود بتذويت مهارات ومفاهيم التفكير الناقد أي جعل هذه المهارات جزءا من المهارات التلقائية التي يكتسبها الأطفال. مثلا عندما نتحدث عن تذويت مفهوم الديموقراطية فمن الممكن اتباع طريقة الأمثلة:

الشكل رقم (2)

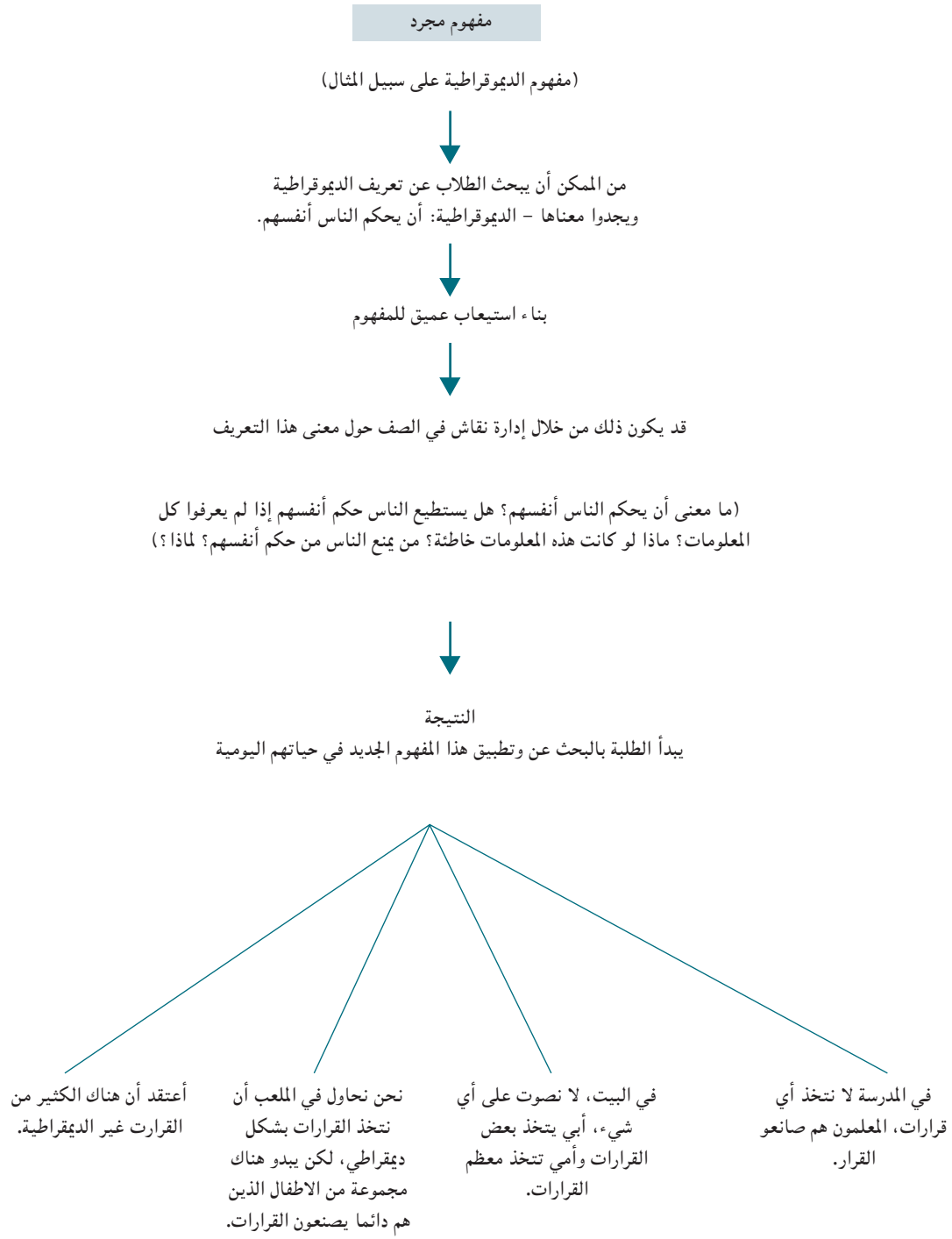
مفهوم مجرد
(مفهوم الديموقراطية على سبيل المثال)
من الممكن أن يبحث الطلاب عن تعريف الديموقراطية
ويجدوا معناها – الديموقراطية: أن يحكم الناس أنفسهم.
بناء استيعاب عميق للمفهوم
قد يكون ذلك من خلال إدارة نقاش في الصف حول معنى هذا التعريف
(ما معنى أن يحكم الناس أنفسهم؟ هل يستطيع الناس حكم أنفسهم إذا لم يعرفوا كل
المعلومات؟ ماذا لو كانت هذه المعلومات خاطئة؟ من يمنع الناس من حكم أنفسهم؟ لماذا؟)
النتيجة
يبدأ الطلبة بالبحث عن وتطبيق هذا المفهوم الجديد في حياتهم اليومية
في المدرسة لا نتخذ أي قرارات، المعلمون هم صانعو القرار.
في البيت، لا نصوت على أي شيء، أبي يتخذ بعض القرارات وأمي تتخذ معظم القرارات.
نحن نحاول في الملعب أن نتخذ القرارات بشكل ديمقراطي، لكن يبدو هناك مجموعة من الاطفال الذين هم دائما يصنعون القرارات.
أعتقد أن هناك الكثير من القرارت غير الديمقراطية.

استخدام الدراما في توضيح المفاهيم المجردة

يمكن للمعلم أن يوضح للطلبة المفاهيم المجردة من خلال استخدام الدراما، فمثلا لو أراد المعلم توضيح المعنى المقصود بالتنظيم العقلي (الشكل رقم 2) دون أن يربكهم بالمصطلحات التربوية وذلك من خلال ابتكار شخصيات طفولية تتحدث كل منها عن ذاتها. وهو بالتالي يجذبهم للشرح ويشجعهم على «التفكير في تفكيرهم!»

إن خلق هذه الشخصيات هو بغرض التوضيح فحسب، والأطفال الذين يطورون أساليب تفكير مماثلة لا يستطيعون وصف تفكيرهم كما تصفه هذه الشخصيات المبتكرة.

الطفل غير الناقد: ليلى الساذجة!

لا أحتاج أن أفكر، أفهم كل شيء دون تفكير. أنا أفعل كل ما يخطر ببالي، وأصدق كل ما أسمعه! أصدق كل ما أشاهد على التلفاز. أنا لا أتساءل حول أي شيء ولا أضيع وقتي في محاولة تحليل الأشياء. ولماذا التعب، دائما يحاول أحد مساعدتي. من الأسهل أن أقول «لا أعرف» بدلاً من القيام بالكثير من الأعمال! ولماذا أهتم بنفسي حينما يهتم والداي والمعلمون بي؟ أنا أوافق أصدقائي دائمًا وأتصرف حسبما يقررون.

بالأمس كان عندي واجب حساب ولم أعرف أن أحله، فبدأت بالبكاء وجاء أبي وحله لي! التفكير يدخلني في مشاكل، من الأفضل لي أن لا أفكر.

الطفل الذي يستخدم التفكير الناقد لتلبية رغباته: سامي الماكر..

أنا أفكر كثيرًا، التفكير يساعدني على خداع الناس والحصول على ما أريد. أنا أصدق ما أريد تصديقه، أي شيء يمكنني من الحصول على مبتغاي. أنا أجادل كل من يطلب مني أن أعمل شيئاً لا أريد أن أقوم به. أستطيع أن أقنع والداي بما أشاء، وأجعل الأطفال الآخرين يفعلون ما أطلبه منهم. أحيانا أقول «لا أستطيع»

وأنا أعرف أنني أستطيع، لكني لا أريد.

هل تعلم أنك تستطيع الحصول على ما تريده من الناس إذا عرفت كيف تتلاعب بهم. لقد سهرت ليلة أمس حتى الساعة 11بعد أن جادلت أمي حول موعد نومي. إن التفكير يساعدني على قول كل ما يحب الآخرون سماعه، أحيانًا لا يكون ما يريد الناس سماعه حقيقيًا، لكن ذلك لا يهم، إذ إن قول الحقيقة يسبب المشاكل. بإمكانك خداع الآخرين إذا عرفت كيف تفعل ذلك، حتى أنك بإمكانك خداع نفسك.

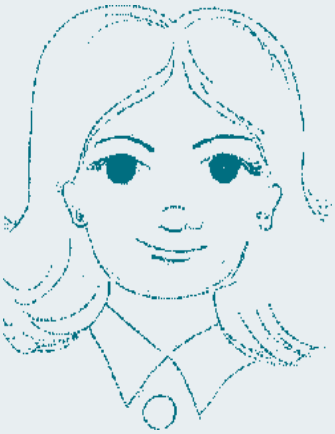

الطفل الناقد: رزان العادلة

أنا أفكر كثيرًا، إن التفكير يساعدني على التعلم وعلى فهم الأشياء. أنا أريد أن أفهم والداي وأصدقائي، وأريد أن أفهم نفسي والأعمال التي أقوم بها. أحياناً أقوم بعمل أشياء لا أفهمها، ليس من السهل فهم الجميع وفهم كل شيء. الكثير من الناس يقولون أشياء ويتصرفون بشكل مغاير تمامًا. لا تستطيع أن تصدق كل ما يقوله لك الآخرون، ويجب أن لا تصدق كل ما تشاهده على التلفاز. كثيراً ما يقول الناس أشياء ليسعدوك لأنهم يريدون شيئا منك.

أريد أن يكون العالم مكانا أفضل ليس لي ولأصدقائي فحسب، بل لجميع الناس. حتى تفهم الآخرين يجب أن تضع نفسك مكانهم وأن تنظر للأمور من وجهة نظرهم. لقد غضبت من أخي ليلة أمس لأنه أراد أن يشاهد برنامجًا في نفس وقت مسلسلي المفضل، حتى فهمت أنه يريد أن يشاهد البرنامج لأن عليه أن يكتب تقريرًا عنه لمعلمه، ليس من العدل أن لا أسمح له بحضور برنامجه إذن. من الأسهل أن أكون أنانية وأفكر فقط فيما أحبه. لكن إذا لم أفكر أنا في الآخرين فلماذا سيفكرون هم بي؟ أريد أن أكون عادلة مع الآخرين لأني أتوقع منهم أن يكونوا عادلين معي.

يمكن للمعلم أن يقول لطلبته مثلاً : «اروِ حادثة تصرفت بها مثل ليلى»، «من من طلبة الصف يذكركم برزان، لماذا»، «اجرِ حوارًا بين الشخصيات الثلاث عن موضوع معين» والمعلم بهذا يزيد من وعي طلبته لطرق تفكيرهم المختلفة.

فهم المصطلحات المجردة من خلال الأمثلة

يعتبر إعطاء الأمثلة أداة قوية لتعليم الطلاب، فكل ما في العالم الحقيقي هو مادي وملموس وما كان مجردًا يجب أن يترجم إلى مواقف محسوسة حتى يتم فهمها. والأمثلة الحيوية هي التي تجعل المفاهيم المجردة واضحة وتلقائية. لو افترضنا أن معلماً يريد أن يعلم مهارتي الاستدلال والافتراض لطلبة الصف الثالث الابتدائي. لا يمكن لهذا المعلم أن يمرر هذه المهارات للطلبة من خلال تعريف هذه المهارات. فالتعريف يوضح أن الاستدلال : Inference هو عملية عقلية يستنتج الفرد شيئا معينا بناء على شيء محدد، وقد يكون الاستدلال صحيحاً أو خاطئاً، مبرراً أو غير مبرر. وأن الافتراض: Assumption هو ما نسلم به دون تفكير. التفكير الإنساني هو تفكير استدلالي، كل الخبرة الإنسانية مبنية على افتراضات. والافتراضات قد تكون مبررة أو غير مبررة ويعتمد ذلك على الأسباب التي تجعلنا نسلم بها. هذه التعريفات تبدو مبهمة، إلا أن الأمثلة توضح ما هو المقصود بالاستدلال والافتراض. هذا المثال هو للمعلمين لتوضيح معنى الاستدلال.

يعتبر إعطاء الأمثلة أداة قوية لتعليم الطلاب، فكل ما في العالم الحقيقي هو مادي وملموس وما كان مجردًا يجب أن يترجم إلى مواقف محسوسة حتى يتم فهمها.

الشكل رقم (3)

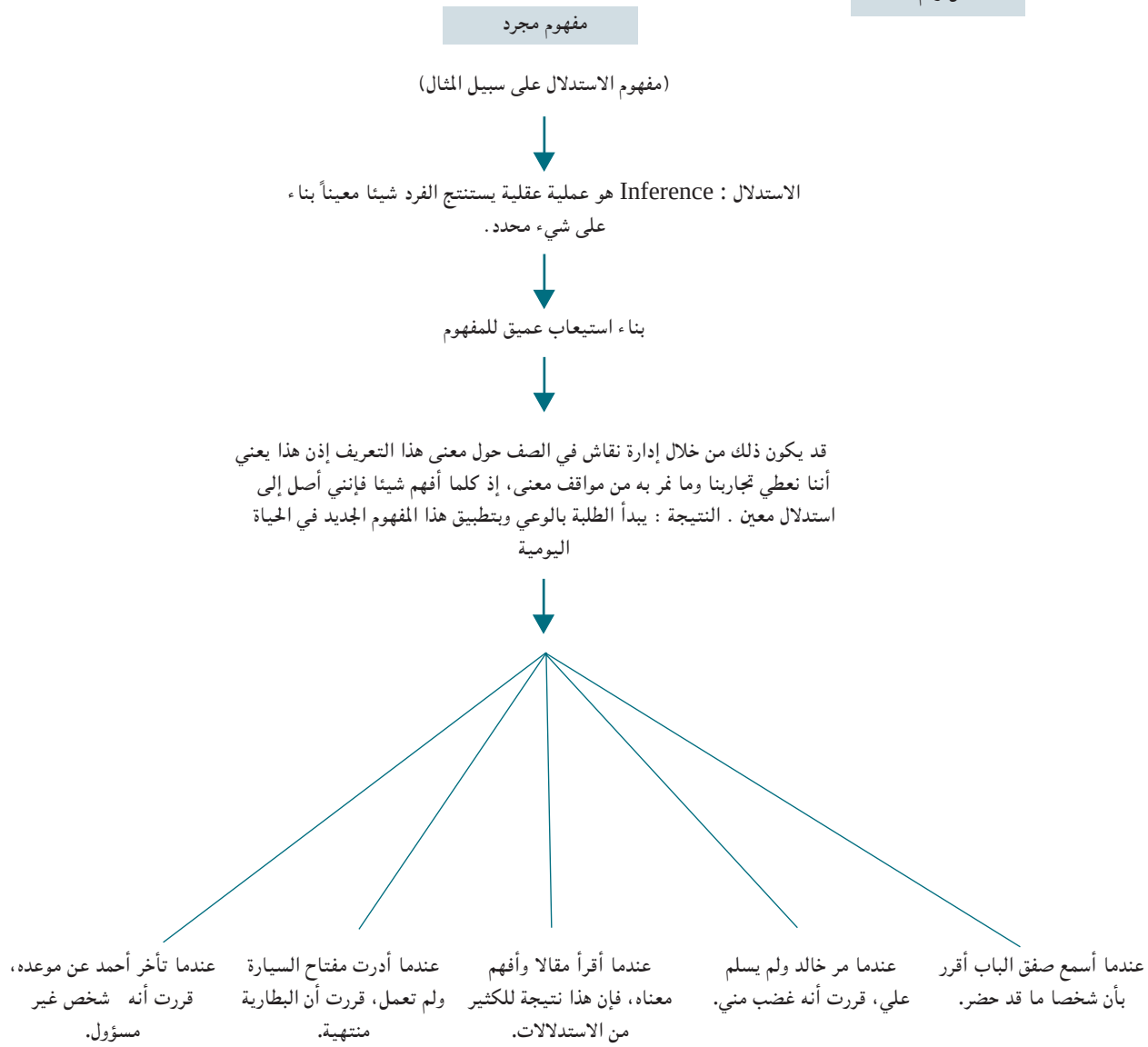

إحدى مهارات التفكير الناقد الأساسية هي إدراك الاستدلالات التي نتوصل إليها وملاحظة الافتراضات التي نبني عليها هذه الاستدلالات وإعادة بناء هذه الافتراضات في ضوء المعلومات والأدلة الجديدة. هذا الفهم والحساسية للاستدلالات التي نستدلها والافتراضات التي نبني تفكيرنا عليها يساعدنا على التمييز بين المعطيات الأساسية للخبرات التي نمر بها وبين تفسيرنا لهذه الخبرات. وبالتدريج يساعدنا هذا الفهم على الاكتشاف بأن هذه الاستدلالات تتأثر إلى حد بعيد بوجهات نظرنا وهذا يمكننا من توسيع آفاق تفكيرنا ورؤية المواقف من عدة وجهات نظر.

يمكن توضيح معنى الاستدلال والافتراض من خلال المثال التالي: يستدل الأشخاص المختلفون من الموقف ذاته استدلالات مختلفة، ذلك لأن الأشخاص ينظرون إلى الموقف ذاته من وجهات نظر مختلفة. لو رأينا شابا ملقى على جانب الرصيف. فقد يعتبره أحدنا بأنه «متسكع وثمل، ولذلك هو ملقى على جانب الرصيف»، بينما يرى آخر بأنه «مسكين وبحاجة إلى المساعدة». كل من هؤلاء الأشخاص استدلوا دلالات مختلفة من الموقف ذاته. فالشخص الأول يرى أن الأشخاص مسؤولون عن تصرفاتهم وعمّا يحدث لهم وأن من واجبهم الاعتناء بأنفسهم، بينما ينظر زميله للموضوع من زاوية أخرى، أن

الأفراد قد يكونون ضحايا لمشاكل الحياة وللضغط الذي يتعرضون له فلا يستطيعون مواجهة كل ذلك. ومن أجل التوضيح يمكن إعادة ترتيب المثال بالشكل التالي:

الشكل رقم (4)

الشخص الأول

الموقف: شاب ملقى على جانب الرصيف
الافتراض: المتسكعون والثملون فقط هم الذين يلقون بأنفسهم على جانب الأرصفة.
الاستدلال: هذا الشاب متسكع وثمل.

الشخص الثاني

الموقف: شاب ملقى على جانب الرصيف
الافتراض: كل من هو ملقى على جانب الرصيف يحتاج للمساعدة.
الاستدلال: هذا الشاب بحاجة إلى المساعدة.

إذا استطاع الطلبة ملاحظة الاستدلالات التي يستدلونها بناء على الافتراضات التي يؤمنون بها، فإنهم بذلك يبدأون بالسيطرة على تفكيرهم. ذلك أن التفكير الإنساني هو تفكير استدلالي. أي أننا نقوم بإعطاء كل ما نقوم به معنى، فمثلاً هل نحن نستريح أم نضيّع وقتنا؟، هل أنا ثابت على موقفي أم عنيد وغير متفهم؟، هل أنا متعاون مع أصدقائي أم أنهم يستغلونني؟
والآن، كيف نستطيع ـ نحن المعلمين ـ أن نساعد طلابنا على إدراك الافتراضات التي يفترضونها وملاحظة الاستدلالات التي يستمدونها من المواقف المختلفة، أي كيف نساعدهم على إدراك وجهات النظر التي بدأوا يكوّنونها حول العالم. إن كل موضوع دراسي يقدم العديد من الفرص التي تساعد الطلبة على زيادة الوعي والحساسية للافتراضات وللاستدلالات. وهذه طريقة بسيطة للبدء... يمكن للمعلم أن يعطي طلابه تمارين في الاستدلالات ليمارسوها في مجموعات صغيرة.

الشكل رقم (5)

الموقف		الاستدلال الذي قد يصل إليه الطلبة
إذا كانت الساعة الثانية	←	حان موعد الغداء.
إذا كانت لينا في الصف الثامن	←	لا بد أن عمرها 14 سنة.
إذا رأيت طابورا متوقفا من السيارات	←	لا بد أن هناك حاجزا عسكريا.
إذا سمعت صوتا عنيفا	←	لا بد أنهم يقصفون مكانا ما.
إذا رأيت السماء سوداء	←	لا بد أنها ستمطر.

بعد أن يتأكد المعلم بأن الطلبة قد استوعبوا مفهوم ومعنى الاستدلال، يمكن أن يتابع معهم هذه المهارة لمساعدتهم على الإدراك بأن كل استدلال يصلون إليه هو نتيجة لافتراض يفترضونه.

الشكل رقم (6)

الموقف	الاستدلال	الافتراض
إذا كانت الساعة الثانية	حان موعد الغداء.	كل الناس يتناولون غداءهم الساعة الثانية.
إذا كانت لينا في الصف الثامن	لا بد أن عمرها 14 سنة.	كل من في الصف الثامن يبلغون 14 عاما.
إذا رأيت طابوراً من السيارات	لا بد أن هناك حاجزاً عسكريًا.	كل أزمة مرور سببها الحواجز العسكرية.
إذا سمعت صوتاً عنيفاً	لا بد أنهم يقصفون مكاناً ما في رام الله.	كل صوت عنيف سببه القصف.
إذا رأيت السماء سوداء	لا بد أنها ستمطر.	عندما تتجمع الغيوم السوداء فإنها تمطر.

ويتابع المعلم أسئلته حول الافتراضات التي يفترضها الطلبة، وهل هذه الافتراضات مبررة منطقياً أو غير ذلك. وبالطبع ليس من الضروري أن يتفق كل الطلبة على نفس الاستدلالات والافتراضات التي تقف خلفها. لكن المهم هنا أن يدرك الطلبة أن كل واحد قد يفترض الكثير من الأشياء والتي يجب عليه عدم التسليم بأنها حقائق مطلقة، بل يجب ملاحظتها والتساؤل حولها. عندما يبدأ الطلبة بفهم الاستدلالات التي يشكلونها والافتراضات التي يؤمنون بها فإنهم سيدركون الأشياء التي كانوا يقومون بها ويقبلونها من الآخرين دون نقاش، وبهذا يبدأون بفهم أن وجهات نظرهم هي التي تشكل مواقفهم وتعطي خبراتهم معنى.

دعاء دجاني
معلمة لغة إنجليزية وباحثة في المركز

References:

Ennis, R. (1989) Critical Thinking and Subject Specificity: Clarification and needed research. Educational researcher. 18, 4-10.

Facione, P. (1996) Critical Thinking. What Is It and Why It Counts? U.S.A: the California Academic Press.

Lipman, M. (1988) critical Thinking: What can it be? Educational Leadership, (46), 38-43.

Paul & Weil, (1995) Critical Thinking Handbook. Foundation for critical thinking. Sonoma Mountain Road.